الروح هى ذلك الجوهر النورى الصادر من عالم الغيب، عالم الأمر الذى لا يدرك كنهه، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، أو هى قبضة الفيض السامى من جواهر العالم العلوى اللطيفة. هبة من الله لكل مخلوق مميز قدر له أن يعيش فى عالم الشهادة وحلقة الاتصال بينهما، أو هى القوة القابلة لافتعال المعانى والأفعال فى عالم المادة.

هى السر الخفى فى نفس الإنسان الذى غاب عنه وحير ألباب العالمين، هى التى تدع الإنسان فى غصة وعجب لعجزه عن إدراك كنه نفسه، ومصدر أفعاله، فالناس يعلمون علم اليقين أن لهم أرواحا، ولكنهم عاجزون عن تحديد مكان وجودها فى أعماق أنفسهم كأنها من عالم الوهم الذى لا يتطاول إليه التصور.

الروح والنفس.. من وحى القرآن الكريم

فما أخزى بنى الإنسان حين يتطاولون إلى مقام خالقهم، ويجهدون أنفسهم بذواتهم التى جهلوها أن يصوروا فى أذهانهم القاصرة كيفية تدبير الله لخلقه وقيامه بأمرهم وحكمته فى أفعاله، كما يتطاول البرغوث إلى فهم أسرار السماء ومحاكاة الملائكة، مع أنه مثل مع الفارق. فالبرغوث مساو للملك فى أنهما مخلوقان، وما أسفههم حين يحاولون استقراء الغيب بظاهر حواسهم. لذلك لا نبحث فى كنه الروح ولكن نبحث فى كيفية اتصالها بالجسد وأحوالها وأفعالها. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. (الإسراء ـ ٨٥).

وتتلخص أقوال العلماء فيها على هذا النحو:

يرى أرسطو والغزالى والإمام فخرالدين الرازى والراغب الأصفهانى وغيرهم: أنها جوهر متجرد عن المادة، واتصالها بالمادة اتصال تدبير وتصرف لا اتصال حلول واتحاد.

ويرى سقراط: أنها جسم حال فى هذا الهيكل حلول الدهن فى السمسم وماء الورد.

ويرى أفلاطون: أنها حياة غير قابلة للفناء محصورة فى سجن فان هو الجسد.

والرأى الأول نشأ من أن أصحابه اعتبروا الروح كاملة النشأة وتصوروا أن لها قوة مطلقة، وعلى هذا الأساس الذى اعتبروه وكونوه بالظن لم يدر بخلدهم أنها وهى بهذه القوة وعلى هذه الصورة تسكن الجسد أو تحل به وتتقيد فى قيود عجزه.

وأصحاب الرأى الثانى ذهبوا إلى واقع المحسوس من أنهم يشعرون أن الروح حالة فى الجسد متحدة به متقيدة بأغلاله، وأنهم يرون من حضره الموت تنتزع روحه من جسده انتزاعا وهى غير راضية عن مفارقته، وتنتزع من كل عضو انتزاعا قويا حتى تبلغ الحلقوم. فتسيل الروح الحيوانية من الفم وتذهب الروح الأخرى إلى بارئها وملئها التى وردت منه.

وهم هنا أقرب إلى الحقيقة من أصحاب الرأى الأول وأقرب إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الواقعة ٨٣ ـ ٨٧).

وإذا كانت الروح متجردة عن الجسد تجردا كليا لكان خروجها من الجسد أهون عليها مما يرى، ولذهبت إلى عالمها فى أى وقت شاءت ولم تبلغ آجالها المحدودة، وكانت الأجسام، سخرية والتكليف مرفوعا، ولما احتاج الذى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت وقنط من رحمة الله إلى الانتحار، ولكن أصحاب هذا الرأى أرادوا تصويرها وهى حالة فى الجسد فجعلوها أشبه بجوهر مادى حل بالجسد حلول الدهن فى السمسم وماء الورد، فإن كان تشبيها مع الفارق فقد صح، وإن كان اتحاد حلول كاتحاد واختلاط المواد فهو بعيد عن الصواب.

وأما أصحاب الرأى الثالث فإنهم توسطوا بين الطرفين وجعلوا الروح سجينة فى الجسد حتى يكونوا مع الرأى الأول فى أنها متجردة مطلقة، وليوافقوا أصحاب الرأى الثانى الذين لا يتعدون ما هو محسوس ولكنهم لما عجزوا عن تحديد مكان وجودها وإدراك كيفية اتحادها به

بقلم:

د. علاء فرغلى

استشارى الطب النفسى